قراءة في كتابات جزائرية
حول؛ تنديد جون بول سارتر(1970/1905)
بالجرائم الفرنسية في الجزائر.

أ/د/. مسعود طيبي

أستاذ محاضر (الفلسفة) بالمدرسة العليا للأساتذة

بوزريعة-الجزائر

تمهيد:

حينما أرغمت نفسي على ضرورة المشاركة والتدخل في ملتقى قسم التاريخ الذي طرح صراحة، موضوع جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر، لبحثه ومناقشته، وجدتني في حيرة، لكوني انتمي إلى تخصص الفلسفة، فتساءلت عن الموضوع الذي يجمع بينهما، أي؛ الموضوع الذي يقيدني بالطرح التاريخي المذكور، ولا يرمي بي بعيدا عن الفلسفة.

فعثرت وأنا بصدد البحث، على كتاب هام اختصت دراسته في الموضوع، عنوانه: "النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية"[1]، لباحث جزائري معاصر، ربما يكون البحث أطروحة أكاديمية، حسب المواصفات التي يحملها، فأخذت أطالعه وأقلب صفحاته بإمعان شديد، فوجدته حقا يتناول صميم الموضوع المطروح للنقاش في هذا الملتقى، ولكن من وجهة نظر أخرى، هي وجهة نظر النخبة الفرنسية المثقفة من استغلال بلدهم فرنسا للجزائر، ومن الجرائم البشعة التي ترتكبها ضد الجزائريين، وموقف هذه النخبة من الثورة الجزائرية التي يطمح شعبها تحت راية جبهة التحرير الوطني إلى إفتكاك استقلاله وحريته بالقوة، تحت شعار، ما أُخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

---

1 - الدكتور، عبد المجيد عمراني، النخبة الفرنسية المثقفة، والثورة الجزائرية (1954-1962)، طبعة دار الشهاب - باتنة - الجزائر، دون تاريخ.

وقد صرح الباحث في بداية بحثه، بأنه سيركز في دراسته على أهم شخصية ثقافية ضمن هذه النخبة[1] هي شخصية الأديب المسرحي والفيلسوف الوجودي الكبير جون بول سارتر Jean سارترJean Paul"Sartre" (1570/1905)، إذ يقول الباحث؛ أنه يركز في هذه الدراسة "على فلسفة سارتر وموقفه من الثورة الجزائرية أكثر من المثقفين الآخرين، لأنه الفيلسوف الوحيد الذي ساند كفاح ونضال الشعب الجزائري ضد الاستعمار، ودعم الثورة التحريرية بكتاباته السياسية وأعماله الأدبية، ووظف فلسفته في تحرير الإنسانية من قيود الاستعمار، والتي جعلت حياته مهددة بالقتل في بداية الستينات"[2].

وقبل عرض مضمون آرائه حول جون بول سارتر، أشير إلى أنني وزعت اهتمامي، وأنا بصدد قراءتي للموضوع، إلى اثنين :

1/ انصب الإهتمام الأول على سلوك الباحث نفسه إزاء دراسته هذه، وكيف تميز أو تصرف، وما هي الطريقة التي عالج على ضوئها الموضوع.

2/ اتجه الإهتمام الثاني صوب جون بول سارتر كظاهرة تبدو غريبة، تكاد تخرج عن المألوف، إذ كيف لحدث لفيلسوف فرنسي كبير، أن يقف موقفا مضادا لسياسة وطنه تجاه مستعمرة من مستعمراته، ويندد بشدة بالجرائم التي ترتكبها جيوش وطنه ضد الجزائريين، وأكثر من هذا، أن يساند الثورة الجزائرية ويتعاطف معها إلى حد بعيد.

موقف جون بول سارتر: استنتجت من قراءتي للكتاب أن مؤلفه يهدف إلى إبراز وإثبات موقف سارتر المندد بجرائم التعذيب التي ارتكبها الفرنسيون ضد الشعب الجزائري، ومساندة ثورة التحرير واستقلال الجزائر، على مستويين اثنين :

أولا/ ندد على المستوى الأول بالاستعمار وجرائم التعذيب وساند الثورة الجزائرية عمليا "بمشاركته الفعلية..في الملتقيات والندوات والمسيرات المنددة بالإعمال الإجرامية والوحشية

---

[1] - بعض أفراد هذه النخبة هم على التوالي : جون بول سارتر- فرانسيس جونسون- فرانتز فانون- سيمون دي بوفوار- كلود بوردات- بيار هنري سيمون- جون ماري دي مونش- جون جاك سرفن- فرانسوا مورياك.
-Jean Paul Sartre - Francis Janson- Frantz Fanon- Simon de Beauvoir- Cloude Bourdet- Pierre Henry Simon- Jean -Marie Domench- Jean-Jacques Servan- François Mauriac

[2] - نفسه، ص7 (المقدمة).

للجيش الفرنسي في الجزائر"[1]، شأنه في ذلك شأن اليسار الفرنسي والنخبة السياسية المثقفة من أنصار الحزب الشيوعي الفرنسي، المساندة للإتحاد السوفيتي آنذاك.

يذكر الباحث مدى تأثير سارتر على النخبة المثقفة من اليساريين، وهو ما أدى بها إلى إمضاء بيان رسمي في أوائل سبتمبر 1960، أصبح يعرف ببيان مئة وواحد وعشرين[2] (Le manifeste Des 121)، يدافعون فيه عن المساندين لحقوق الشعب الجزائري[3].

ومعظم الموقعين على الإعلان التاريخي، كما يرى المؤلف، هم المثقفون العاملون بمجلة الأزمنة الحديثة (Les temps Modernes) التي يديرها سارتر وسيمون دي بوفوار (Simon de Beauvoir) والروائي ميشال بيتور (Michel Butor) وعالم الاجتماع ماكسيم رودينسون (Mixime Rodinsm) وغيرهم[4].

فكانت ردود الفعل تجاه البيان، أن أعلن الوزير الأول الفرنسي ميشال ديبري (MichelDebré) في 28 سبتمبر من نفس السنة، بأن الحكومة ستتخذ إجراءات صارمة ضد الشبكات السرية التي تدعو إلى التمرد والعصيان المدني وعدم الامتثال لواجب الخدمة العسكرية والتهرب منه، وضد المساندين لهم، خاصة أعضاء البيان، فكان من بين هذه الإجراءات، منعهم من الظهور على التلفزة والراديو والمسرح، ومتابعة بعضهم قضائيا وسجنهم، وإيقاف بعض الصحف والمجلات المساندة لهم[5].

وبالمثل قام أنصار "الجزائر الفرنسية" من الضباط المتقاعدين والأقدام السوداء، واليمين الفرنسي المتطرف، في 03 أكتوبر 1960، بمظاهرة عارمة، بلغ عددهم فيها حوالي ثمانية آلاف متظاهرا، بشانزليزي(Champs Elyseé) في باريس، ضد الموقعين للبيان والمساندين لقضية

---

1 - نفسه، ص237.

- نص البيان:

- "إننا نحترم ونحكم مبررين رفضنا لحمل السلاح ضد الشعب الجزائري.

- إننا نحترم ونحكم مبررين سلوك أو تصرفات الفرنسيين الذين يرغبون ويرون أن من واجبهم مد يد العون وحماية الجزائريين المقهورين باسم الشعب الفرنسي.

- وقضية الشعب الجزائري التي تساهم بطريقة حاسمة في تدمير النظام الاستعماري هي قضية كل الأفراد الأحرار". - أنظر الدكتور عبد المجيد عمراني، المصدر السابق، ص 193.[2]

3 - الدكتور عبد المجيد عمراني، المصدر السابق، ص 193.

4 - نفسه، ص 193.

5 - نفسه، ص 194.

الشعب الجزائري، رددوا خلالها شعارات تميزت بالعنصرية والعنف والشتم لهم، فكان من أهمها[1].

- الجزائر فرنسية -L'Algérie Française
- الموت لسارتر. -Fusillez jean Paul Sartre.
- صالون في السلطة -Salon au pouvoir.
- تسقط جبهة التحرير الوطني -Abat FLN

يذكر الباحث أيضا، مشاركة جون بول سارتر في مظاهره سلمية، في نوفمبر 1961، احتجاجا على القمع والقتل الجماعي للعمال الجزائريين المتظاهرين في السابع عشر من شهر أكتوبر في باريس، والتي حققت نجاحا سياسيا للثورة الجزائرية، كما يرى[2].

وزار خلال شهر فيفري 1960 كوبا رفقة زميلته سمون دي بوفوار(Simon de Beauvoir)، قابل خلالها الرئيس الكوبي فيدال كاسترو(Fédel Kastro)، وناقش مع الطلبة الجامعيين بهافانا، تطور الثورة الكوبية ومقارنتها بالثورة الفرنسية والثورة الروسية، وعقد ندوة صحفية في الإذاعة الكوبية، لم يغيب خلال هذه النشاطات السياسية في كوبا التنديد بالسياسة الديماغوجية للفرنسيين في الجزائر[3].

ومن بين ما استقبلت به الصحف الفرنسية جون بول سارتر عندما عاد من كوبا إلى باريس، ما عنونت به لوماند(Le Monde) إحدى صفحاتها، وهو[4] أن جون بول سارتر قد رسم خطين متوازيين بين كوبا والجزائر[5].

ويذكر الباحث نشاطات عملية أخرى لجون بول سارتر في تنديده بالجرائم الفرنسية في الجزائر، لم نشر إليها لقلة أهميتها.

ثانيا/ أما مقام به، على المستوى النظري ضمن كتاباته السياسية وتنديده بالأعمال الإجرامية للمستعمر ضد الشعب الجزائري، ومساندة كفاحه ضد عدوه من أجل نيل

---

[1] ـ نفسه، ص 195.

[2] ـ نفسه، ص 191.

[3] ـ نفسه، ص 188.

[4] - M.J. P Sartre dresse un Parallèle entre Cuba et L'Algérie.

[5] ـ نفسه، ص 189.

الاستقلال، هو أهم. مافتئ يقوم به منذ "أن أعلن عن التزامه في السابع والعشرين من جانفي سنة ست وخمسين وتسع مائة وألف، بالوقوف إلى جانب القضية الإنسانية العادلة "[1].

1/كتب مقدمة لكتاب المفكر الثوري المعاصر فرانس قانون، "المعذبون في الأرض" " les damnés de la terre" عندما التقي به آخر مرة في روما بإيطاليا، وقبل وفاة هذا الأخير في 1961. يصف المؤلف هذه المقدمة بأنها "كانت عنيفة وشديدة اللهجة [على] الاستعمار الفرنسي في الجزائر. صرح معلنا، مساندته وتأييده لا لنضال الشعب الجزائري فقط، بل على تأييده أيضا للحركات التحريرية في العالم الثالث"[2].

2/كما كتب مسرحية "سجناء ألطونا" les séquestrés d'Altona التي عرضت على المسرح سنة 1959، وهي كما يصفها موريس كرانستون، مسرحية غامضة جدًا، أظهر فيها سارتر مدى تأثره للتعذيب الذي كان يمارسه الإستعهمار الفرنسي في الجزائر، لقد حاول سارتر في هذه المسرحية أن يتناول موضوع التعذيب مباشرة، [إذ]جعل الشخصية المحورية ضابطا نازيا سابقا هو (فرانز) (اسم دال) وهو رجل متجه نحو الجنون لكي يبرر لنفسه وللمستقبل لجوءه إلى التعذيب"[3].

3/ عارنا في الجزائر، وهو الكتابة التي أظهر فيها سارتر وحشية وعنصرية الجيش الفرنسي، والجرائم البشعة المرتكبة ضد الجزائريين، مما جاء فيه عن التعذيب والعنصرية والحقد الدفين في قلوب العساكر الفرنسية، أن الجلاد لا يهدف أحيانا بالتعذيب إلى إجبار الضحية على الكلام والخيانة الوطنية، بل ليثبت لنفسه ولغيره من الحاضرين، بواسطة الصراخ الشديد نتيجة الألم المميت، والتذلل والخضوع، أنه بهيمنة بشرية[4].

ويذكر من بين جرائم التعذيب الممارس ضد الجزائريين، كيف أصبح وسيلة للترفيه والتسلية لفرق التعذيب من الصباح إلى المساء، والتمتع بالمناظر البشعة، لكي لا تمل العساكر من هذا الروتين بتعذيب المساجين عراة الواحد منهم تلوى الآخر، من الصباح إلى المساء، إذ يجردون

---

[1] ـ نفسه، ص 139.

[2] ـ نفسه، ص 151 .

[3] ـ موريس كرانستون، سارتر بين الفلسفة والأدب، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان1975، ص145.

[4] ـ جون بول سارتر، عارنا.. في الجزائر، ترجمة عايدة وسهيل إدريس، منشورات دار الآداب، بيروت ـ لبنان1958، ص60، 61.

السجين من ثيابه ويقيدونه بشدة، و يهزأون به وهم في ذهاب وإياب يتداولون تعذيبه وشتمه والتسلية به.

ويرى أنه لا يمكن أنسنه الحرب في الجزائر التي أصبح التعذيب فيها عشوائيا لا مبرر له، موجها نداءه إلى السلطات قائلا: "إذا كنا نود أن نضع حدا لهذه الأعمال الوحشية القذرة الكئيبة، وأن ننقذ فرنسا من العار وننقذ الجزائريين من الجحيم، فليس أمامنا إلا وسيلة واحدة، أن نفتح المفاوضات ونعقد السلام"[1].

4/كما نشرت له مقالات كثيرة في الجرائد، والصحف، خاصة، مجلة الأزمنة الحديثة (Les temps Modernes) التي يشرف عليها سارتر نفسه، منها؛ المشـــاة النائمـــون (les Somnambules) التي كتبها بمناسبة إعلان توقيف القتال في 19 مارس 1962. قارن فيها سارتر استقلال الجزائر بتحرير فرنسا سنة 1945، حيث تنفس الفرنسيون الصعداء من ويلات الحرب، وشعروا بالحرية والاستقلال، معتقدا بأن الشعب(الفرنسي) قد "أرتاح وتخلص من جرائمه الجهنمية في الجزائر، وطلب من الفرنسيين أن يقفوا ضد العمليات الإرهابية التي تقوم بها المنظمة العسكرية السرية(O.A.S) في كل من الجزائر وفرنسا"[2].

ونتيجة لهذا وذاك، أي لما قام به جون بول سارتر على المستويين؛ النظري والعملي،كما أسلفنا، من تنديد بالجرائم الفرنسية في الجزائر ومساندة الثورة الجزائرية من أجل الحصول على الاستقلال، أصبح عرضة للتهديد بالموت من طرف المنظمة الإرهابية المسلحة (O. A .S) وكتمهيد وتهديد له قد انفجرت عدة قنابل يدوية في الطابق الأعلى للعمارة التي كان "يوجد بها مسكن سارتر، وتسببت في خسائر مادية طفيفة لشقة سارتر، حيث أحرقت بعض كتاباته غير المنشورة"[3]، ولحسن الحظ كان يسكن خفية في منزل آخر[4].

وأصبح في المقابل، رمز حرية الإنسان، في نظر الجزائريين، والخصم العنيد الذي يندد بشدة ضد جرائم التعذيب التي ترتكبها فرنسا ضد الشعب الجزائري الثائر.

---

1 - نفسه ،ص 65،66.

2 - د. عبد المجيد عمراني، المصدر نفسه، ص:192.

3 - نفسه، ص 223، 222.

4 - نفسه، الهامش، ص 223.

ملاحظات حول المؤلف: ما يمكن ملاحظته، هو أن الباحث قد بذل جهدا معتبرا في جمع الوثائق؛ مصادر ومراجع ومقالات مختلفة، وقام بدراستها من أجل الوقوف على ما هو بصدد البحث عنه، وبهذا يكون قد وفر على من يأتي بعده عناء البحث عن المادة الضرورية لدراسة مثل هذا الموضوع الهام، من مواضيع تاريخ ثورتنا المجيد، وأنا بدوري قد استفدت من بحثه استفادة عظيمة ما كنت أحصل عليها بسهولة في غياب ما قام به، غير أنني لم أمتنع من تسجيل بعض الملاحظات على بحثه، من أهمها:

1/ أنه حاول من البداية إظهار موقف جون بول سارتر من الثورة الجزائرية وتنديده بالجرائم الاستعمارية، كما هو ظاهر لدى عامة الناس، من خلال الصحف والكتابات الفردية الخاصة، والانطباعات التي لا تخلو من ذاتية واندفاع إلى إصدار الأحكام الارتجالية، و لم يحاول دراسة ما قام به جون بول سارتر في هذا المجال، كظاهرة من الظواهر التي تحتاج إلى الدراسة العلمية، قصد تعليلها والوقوف على أسبابها الحقيقية، وضبط مفهومها وتحديد قانونها العام، لا مجرد سرد للحوادث وتكديسها، وتركها على ما هي عليه في أعين الناس.

ولعل النقص المشار إليه في هذه الدراسة، لا يختلف عن النقص الذي سجله ابن خلدون ولفت انتباهنا إليه في مقدمته إزاء المؤرخين السابقين، أمثال الطبري والمسعودي وغيرهما، إذ لاحظ عليهم عدم التعليل للحوادث والاكتفاء بسردها دون تمحيصها وتعليلها، لذا أكد قبل غيره من المحدثين أن الأمر ليس كذلك، وأوضح أن للحوادث التاريخية ظاهر وباطن، وأوضح كيف ينبغي للمؤرخ أن يتجاوز ظاهرها إلى باطنها، لأن ظاهرها لا يزيد "على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون[الأولى]، تنمى فيها الأقوال وتضرب فيها الأمثال وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال"[1].

أما باطنها، ففيه "نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق"[2].

وهو نفس ما يشتكي منه النقاد في هذا العصر، وما يلاحظونه من نقص شديد في تدريس مادة التاريخ، التي يلجأ المدرس في تدريسه لها إلى مجرد سرد الحوادث وملء أذهان الطلبة

---

[1] ـ ابن خلدون، المقدمة، مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية، بيروت ـ لبنان، دون تاريخ، ص: 02.

[2] ـ نفسه، ص 02.

بمحتواها دون تعليلها. فوصفوا طريقة تدريس الحوادث التاريخية، بالطريقة التي تكاد تكون عقيمة، "ولا تؤدي هدفها"[1]، وهو ما يجعل "الطلبة في مختلف الأطوار التعليمية لا يولون لها أهمية"[2].

2/ لم يفترض الباحث فرضيات يفسر على ضوئها الظاهرة، و لم يحدد إشكالا للبحث يتطرق فيه إلى الغاية التي قصد جون بول سارتر بلوغها، وفيما إذا كان تنديده بالجرائم ومساندة الثورة الجزائرية غاية في ذاتها، أم هو مجرد وسيلة لغايات أخرى، يهدف جون بول سارتر إلى تحقيقها ؟

وكيف ينسجم أو لا ينسجم ما قام به مع فلسفته واتجاهه السياسي وهويته الشخصية والوطنية؟

دوافع جون بول سارتر في هذه المواقف: أحاول الآن إبداء رأيي في الموضوع، بالإجابة عن هذا السؤال، كيف نفسر موقف جون بول سارتر المطروح في هذا البحث ؟ لماذا ساند القضية الجزائرية عوض مساندة فرنسا ؟

1/ إن ما ينبغي علمه هو أن جون بول سارتر، رغم أنه فرنسي، ولد بباريس عام 1905، فهو أكثر انتماءً لألمانيا، العدو اللدود لفرنسا آنذاك، لذا يبدو في نظر الكثير من القراء، كما يقول موريس كرانستون، بأنه "أقل الكتاب الفرنسيين المحدثين ارتباطا بفرنسا، [بل] فالإنسان مدفوع إلى القول بأنه ألماني من [المتشددين][3]، فأصله من الألزاس، وجده لأمه ألماني وقد شب سارتر في بيته مع أمه بعد وفاة أبيه وعمره لا يتجاوز العامين، وكانت ترعاه في صغره ممرضة ألمانية[4] .

2/ أجاد سارتر اللغة الألمانية، نتيجة تربيته في أسرة جده الألماني، "والتحق بالمعهد الفرنسي ببرلين حيث درس الفلسفة الألمانية المعاصرة لمدة عام، وهكذا وقع تحت تأثير ادموند هوسرل

---

1 ـ د. مبارك بوطارن، في مقال له، عنوانه، تدريس التاريخ بين الطرق التقليدية والوسائل الحديثة، حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد 1. سنة 2003، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، ص: 212.

2 ـ نفسه، ص 212.

3 ـ موريس كرانستون، مر جع سابق، ص 5.

4 ـ نفسه، ص 05.

(Edmund Husserl) ومارتن هيدجر Martin Heidegger"[1]، فهما وغيرهما مصدرا فلسفته الوجودية

3/ أما بالنسبة لأعماله الأدبية الخالصة ومسرحه، لا يخلو من الانتقادات اللاذعة للحياة البرجوازية الفرنسية مثل رواية الغثيان (la Nausée) وغيرها، إذ "يمكن قراءتها بسهولة على أنها هجوم على الحياة الفرنسية.. أو أنها هجوم على الجمهورية الثالثة، وبالتالي فهي هجوم على فرنسا"[2].

وقد سمحت الرقابة النازية عام 1943 بتمثيل مسرحية الذباب(les mouche) في مسرح باريس المحتلة، لا لشيء إلا لأنه يهاجم النفسية الفرنسية على المستوى الرسمي.

4/ ورغم انتماء سارتر إلى الحزب الشيوعي واليسار الفرنسي وهو ناقد لاذع للسياسة الأمريكية والحياة البرجوازية في فرنسا، رفض طلبه أول مرة عام 1941 حينما رغب في الانضمام إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، رفضا قاطعا، لأنهم كانوا يعتقدون بأن سارتر عميل وجاسوس"يعمل سريا لفائدة النازيين"[3]، خاصة عندما لاحظوا بأن النازيين أطلقوا سراح سارتر سارتر بعد سجنه مدة سنة، دون الفرنسيين الآخرين[4]، لكنه أصبح فيما بعد عضوا منهم.

5/كما أننا نعلم، أيضا مدى معارضة الحزب الشيوعي الفرنسي واليساريين لليمين الفرنسي المتطرف، وكانت الجزائر وما يجري فيها من انتهاك لحقوق الإنسان، الورقة الرابحة لليساريين واليمين الفرنسي، وسارتر الأديب المسرحي الناشط آنذاك، والفيلسوف الوجودي المندد بشدة بانتهاك حرية الإنسان في الجزائر وغيرها، لذا فهو بمثابة الناطق الرسمي لهم، إذ أنهم "كانوا يعتقدون بأن انتصار جبهة التحرير الوطني هو انتصار لليسار الفرنسي"[5]، وفي المقابل كان كان يعتقد اليمين والسلطة الحاكمة، والمنظمة الإرهابية السرية، "بأن القضاء على سارتر هو

---

[1] ـ نفسه، ص08.

[2] ـ نفسه، ص17.

[3] ـ الدكتور عبد المجيد عمراني، المصدر السابق، ص 28.

[4] ـ يقال أنه تحايل عليهم، وتظاهر بالمرض فأطلقوا سراحه، ولكن يبدو أن الأمر غير ذلك.

[5] ـ الدكتور عبد المجيد عمراني، مصدر سابق، ص:241.

القضاء على اليسار الفرنسي وتدعيم سياسة الاندماج والمحافظة على استمرارية الجزائر الفرنسية"[1].

6/ أشار الباحث إلى ما قامت به أرملة فرنس فانون، إذ أنها حذفت مقدمة جون بول سارتر لكتاب زوجها "المعذبون في الأرض"، "لأنها لم توافق موقفه تجاه الحرب التي قامت بين العرب وإسرائيل سنة 1967"[2].

ولا شك أن موقفه كان مساندا للإسرائيليين ضد العرب. ويبدو منه، أن تناقضه الذي لاحظه عليه النقاد في فلسفته الوجودية، قد امتد إلى مواقفه ومبادئه العملية، إذ كيف يخفى عليه التصريح الجزائري الشهير على المستوى الرسمي، الذي روج له أيام الاستقلال، بأن الجزائر لا تنال استقلالها الأكبر إلا باستقلال فلسطين من قبضة الكيان الصهيوني !

7/ يبدو أيضا، أنه بارعٌ في ربط موقفه بما جرى في الجزائر من انتهاك لحرية الإنسان من طرف الفرنسيين بفلسفته الوجودية التي تمنح الإنسان حرية مطلقة، بعد أن تجعل وجوده سابقا لماهيته، إذ أن الإنسان لا يوجد أولا ليكون بعد ذلك حرا، وإنما ليس ثمة فرق بين وجود الإنسان ووجوده حرا،[3] وخلاف الفلسفات السابقة والديانات التي أعطت الأسبقية للماهية على الوجود، وأثبتت وجود الألوهية السابق المؤثر في وجود الإنسان، فهو يعارض ذلك، وينظر إلى الدين على أنه عائق للفكروهو بمثابة الحصار الذي يضرب عليه، وبالتالين فهو "خطر على مستقبل الإنسانية"[4]وحريتها المطلقة التي هي دائما فينا، وهي دائما على نفس الدرجة"[5].

لكن رغم سلبية فلسفته التي"تؤكد الحتمية من حيث هي تريد أن تؤكد الحرية[6]"، إذ أن أن "الإنسان في فلسفة سارتر مدانا بالحرية أو مجبرا عليها"[1]، فقد أجاد سارتر في ربط الغاية

---

[1] ـ نفسه، ص07.

[2] ـ نفسه، ص 191.

[3] - Jean Paul Sartre, l'être et le néant, Gallimard, Paris, 1943, p 61.

[4] ـ جون بول سارتر، نظرية الانفعال، ترجمة هاشم الحسيني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، دون تاريخ، ص 98.

[5] ـ جان فال، الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارت،ر ترجمة فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة (دون تاريخ)، ص 165.

[6] ـ د. نجيب الشارني، فلسفة جون بول سارتر، منشاة المعارف ـ الإسكندرية، (دون تاريخ)، ص 306.

بالوسيلة، ربطا محكما، فالغاية عنده هي الغاية السياسة لليسار الفرنسي، وللحزب الشيوعي، وهي الغاية الفلسفية أيضا، ممثلة في الوجودية التي يعتبرها مذهبا إنسانيا. أما الوسيلة فهي التنديد بجرائم الاستعمار والاستنكار الشديد للتعذيب الذي سلطه المستعمر على الشعب الجزائري والمساس بحريته، فهو الميدان التطبيقي والسند القوي الذي يثبت صحة نظريته الوجودية الممجدة للحرية.

وما يثبت هذا الموقف، هو أنه فصل بين ظاهرة التعذيب، وظاهرة الاستعمار ككل للجزائر، وركز على الأولى مع إهمال الثانية تماما في فلسفته الوجودية، إذ أنه لم يتحدث في كتاباته السياسية، عن الحرية أو الاستقلال للشعب الجزائري في نهاية الحرب العالمية الثانية، و لم يعلن عن مساندته لثورة نوفمبر 1954، مثله مثل المثقفين الفرنسيين اليساريين. أي؛ أنه ساند قضية الجزائر، وهي في موقع قوة، بعد أن فرضت ثورة التحرير نفسها في المحافل الدولية، و لم يساندها وهي في موقع ضعف، ووقت أن كانت قضية يخيم عليها السكوت.

ورغم هذا، لا يمكن شذب وإنكار ما قام به جون بول سارتر وغيره من المثقفين الأجانب والأحرار في العالم، حتى ولو كان لبعضهم دوافع ومقاصد أخرى، ولكن لا نعول عليه ونضعه في المقام الأول كحكم قطعي يجب الاعتقاد به.

---

[1] - نفسه، ص 306.

المصادر والمراجع

1- د. عبد المجيد عمراني، النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية (1954-1962)، طبعة دار الشهاب - باتنة - الجزائر، دون تاريخ.

2- جون بول سارتر، عارنا.. في الجزائر، ترجمة عايدة وسهيل إدريس، منشورات دار الآداب، بيروت- لبنان1958.

3- جون بول سارتر، نظرية الانفعال، ترجمة هاشم الحسيني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، دون تاريخ، ص 98.

4- ابن خلدون، المقدمة، مكتبة ومطبعة، عبد الرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية، بيروت- لبنان، دون تاريخ.

5- د.مبارك بوطارن، في مقال له، عنوانه، تدريس التاريخ بين الطرق التقليدية والوسائل الحديثة، حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد 1. سنة 2003، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة.

6- موريس كرانستون، سارتر بين الفلسفة والأدب، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان 1975 .

7- جان فال، الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر ترجمة فؤاد كامل،دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة (دون تاريخ).

8- د. نجيب الشارني، فلسفة جون بول سارتر، منشاة المعارف- الإسكندرية، (دون تاريخ).

9-Jean Paul Sartre, l'être et le néant, Gallimard, Paris, 1943, p 61.